خاطف ، بل وكان يمكن تمييز الكلمات التي تعقبها ، الا انها لم تكن مفهومة ٠

« لماذا يصرخون هكذا هناك ، لماذا ؟ » ، لم يستطع عامل اللاسلكي ضبط نفسه ٠

« كأن الشيطان حل فيها » قال شلومو متبرما وهو يزم عينيه كما لو كان ثمة من يصر له بقطعة من التنك قرب اذنه ٠ ثمة شيء قاتم مر بالقرية ٠ ثمة بقرة شرعت تخور هي الاخرى ، بيأس ، باضطراب ، ببلاهة متكررة ، وكأن مجرد خوارها يمنحها نقطة تشبث في عالم حاد عن مساره ٠

شعرنا فجأة وكأن هجوما صاعق المفاجأة قد يداهمنا ، لقد انهارت الاسوار الغريبة كلها علينا ، حاصرتنا بحقد غاضب يفح ، وبدورنا معزولين على حين غرة ، لا حيلة لنا ولا ندري من اين ستنزل الضربة علينا فجأة ـ اللهم ما لم تكن غير ذلك ـ الا انها كانت « نحن » ها هنا ، على هيئتنا وصورتنا ٠ وصلنا مفترق ازقة ٠ انطلقنا نفتش البيوت المجاورة ٠ كانت كلها خاوية خواء كارثة مباغتة ٠ كان ملل متوتر قد بدأ يلوح بنا ٠ تلك الصرخة الرهيبة لم تتوقف ، بل تحولت الى نواح مكظوم يرتفع بصورة متقطعة ، نواح مبحوح كان قد فقد القدرة على ان يكون صرخة حادة ، وقد اصبح واضحا ان كل شيء قد انتهى واندثر ، ولا شيء ينفع او يتغير ٠

باغتنا احد الرجال خارجا علينا فجأة من باب احد الاسوار التي كانت تكيد لنا من الخلف في صمت ، وقد تصور انا كنا قد ابتعدنا ومضينا قدما ، فبوغت بنا وقفز ثم راح يجري في مرتقى الطريق ٠

« توقف ايها الكلب ! » صرخ به غابي واطلق صلية من الرصاص فوق رأسه ، الا انه قفز وانبطح خلف حجر ملقى بجانب السور ، ودس رأسه بقدر ما سمحت له زحمة الارض ٠

« انهض ! » صرخ به غابي ، « نقول لك انهض » ٠

قلم يعارض ، ونهض ٠ كان مروعا بشدة ٠ صوب غابي المدفع الرشاش نحوه بدقة وهو يقول لنا : « يوحي بأنه قذر ! » وضغط على الزناد في الحال واطلق طلقة منفردة ، كانت قد مرت قيد شعرة من فوق رأسه عمدا ٠ فالتفت الرجل الينا ومد يده وتجمد هكذا ، وعنقه يغوص بين كتفيه ٠

« تعال جاي ! » ، صرخ به غابي ٠

حاول الشخص ان يتحرك ٠ كان واضحا ان لا علاقة البتة بين رجليه وجسمه ٠ الا ان رجليه تحركتا من تلقاء نفسيهما ، اما الجسم فقد كان مشلولا ٠ ملامح سحنته كانت فارغة من دمها ليس الى حد الشحوب ، وانما اليرقان والصفرة المخجلة ٠ وفي النهاية بلع الرجل ، بعد لأي ، ريقه ، ثم عاد ومد يديه مذعنا وهو يحاول ان يبتسم ابتسامة قناع بائس ، او ربما ليقول شيئا ما ، فلم يسعفه صوت من داخله او صدى ٠

ـ « ما الذي تفعله هنا ؟ » استجوبه غابي ٠

عاد الرجل وحاول الابتسام بحظ من النجاح لم يكن بأكبر من سابقه ٠

ـ « يوحي بأنه قذر » ، عاد غابي وكرر مشيرا اليه بابهامه ٠